Journal of Language Studies Vol.9, No.2, Part 2, 2025, Pages (69-83)
DOI: https://doi.org/10.25130/Lang.9.2.4

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

Transformations of Self and Identity in Martin Pegg's "How I Became a Dummy": A Critical Study

Dalya Hameed Shihab *

Tikrit University

Dalyahameed@tu.edu.iq

Received: 4/ 3/ 2025, **Accepted:** 27/4 /2025, **Online Published: 25/ 7/ 2025**

Abstract

The novel is no longer merely a means of entertainment or casual storytelling; it has become a window for exploring complex existential and human issues. *How I Became Stupid*, a novel by French writer Martin Page, serves as an example of a literary work that combines both satire and philosophy. It addresses the psychological and emotional transformations of Antoine, a young intelligent man who seeks to free himself from the burden of thinking by attempting to embrace stupidity as a path to a simpler and happier life.

This study aims to analyze the transformations that Antoine undergoes, both psychologically and socially, and their connection to the broader context reflected in the text. Additionally, the study examines the narrative techniques employed by the author to depict this transformation, relying on a critical approach that focuses on narrative structure and psychological analysis of the character.

* **Corresponding Author**: Dalya Hameed Shihab , **Email:** Dalyahameed@tu.edu.iq
Affiliation: Tikrit University - Iraq
© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

Key Words: character transformations - Literary psychology - Philosophical novel - Psychoanalysis - Psychological conflict - Intelligence and stupidity - Social integration - Social criticism - Consumer society - Dark satire - Narrative techniques - Contemporary French novel - Martin Page - Existential crisis - Problematic protagonist

"تحولات الذات والهوية في رواية مارتن باج 'كيف أصبحت غبيًا': دراسة نقدية"

داليا حميد شهاب

جامعة تكريت / كلية الآداب

الـمستخلـص

يتناول البحث دراسة تحليلية لرواية "كيف أصبحت غبيًا" للكاتب الفرنسي مارتن باج، التي تسلط الضوء على التحولات النفسية والاجتماعية لشخصية البطل أنطوان، وتسعى الدراسة إلى تحليل رحلة التحول التي يخوضها أنطوان، الذي يجد نفسه مثقلًا بعبء التفكير المفرط، مما يدفعه إلى محاولة تبني الغباء كوسيلة للخلاص من معاناته.

يعتمد البحث على تحليل البنية السردية التي استخدمها الكاتب، مسلطًا الضوء على توظيف السخرية السوداء وتقنيات السرد الذاتي والراوي العليم، كما يناقش البحث القضايا الفلسفية التي تطرحها الرواية، كالعلاقة بين الذكاء والسعادة، وتأثير المجتمع الاستهلاكي على الفرد.

يخلص البحث إلى أن الرواية تقدم نقدًا لاذعًا للواقع المعاصر الذي يمجد الاستهلاك ويفرض معايير محددة للسعادة، مما يدفع الفرد إلى التنازل عن ذاته الحقيقية بحثًا عن القبول الاجتماعي، وتكشف الرواية كيف أن فقدان الهوية قد يصبح نتيجة مأساوية لمحاولة الاندماج في مجتمع يختزل النجاح في القيم المادية.

الكلمات الدالة: تحولات الشخصية، علم النفس الأدبي ، الرواية الفلسفية ، التحليل النفسي، الصراع النفسي ، الذكاء والغباء ، الاندماج الاجتماعي ، النقد الاجتماعي ، المجتمع الاستهلاكي ، السخرية

السوداء ، التقنيات السردية ، الرواية الفرنسية المعاصرة ، مارتن باج ، الأزمة الوجودية ، البطل الإشكالي .

المقدمة :

في عالمٍ يزداد تعقيدًا يومًا بعد يوم، أصبحت الرواية أكثر من مجرد وسيلة للترفيه أو سردٍ عابرٍ للأحداث، لقد تحولت إلى نافذةٍ واسعةٍ تطل على قضايا وجودية وإنسانية عميقة، تطرح تساؤلاتٍ حول الذات والهوية، وتكشف عن الصراعات الداخلية التي يعيشها الفرد في مواجهة المجتمع وقيمه المتغيرة، ومن بين الأعمال الأدبية التي تجسد هذا التحول، تبرز رواية كيف أصبحت غبيًا للكاتب الفرنسي مارتن باج ، التي تمزج بين السخرية اللاذعة والعمق الفلسفي، لتقدم لنا قصة أنطوان، الشاب الذكي الذي يجد نفسه مثقلًا بثقل التفكير المفرط، فيقرر أن يبحث عن خلاصه في الغباء، كطريقٍ لحياةٍ أكثر بساطة وسعادة، تتناول هذه الرواية قضية التحولات النفسية والوجدانية التي يمر بها أنطوان، بدءًا من معاناته مع ذكائه الذي يجعله يشعر بالاغتراب عن المجتمع، وصولًا إلى محاولاته اليائسة للتخلص من هذا الذكاء والاندماج في حياةٍ تخلو من التعقيدات الفكرية، من خلال هذه الرحلة، يطرح الكاتب أسئلةً جوهرية حول طبيعة الذكاء والغباء، والسعادة، والاندماج الاجتماعي، وكيفية تعامل الفرد مع ذاته في عالمٍ يفرض عليه قيمًا استهلاكيةً تهدد بإفقاده هويته، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل التحولات التي تطرأ على شخصية أنطوان، سواء من الناحية النفسية أو الاجتماعية، ومدى ارتباطها بالسياق العام الذي يعكسه النص، كما تسعى إلى استكشاف الأساليب السردية التي استخدمها الكاتب في تصوير هذه التحولات، مع التركيز على البنية السردية والتحليل النفسي للشخصية، من خلال هذا التحليل، سنحاول فهم كيف يعكس النص أزمة الذكاء في مجتمعٍ يقدس الاستهلاك ويقلل من شأن الفكر العميق، وكيف يمكن لهذه الأزمة أن تؤدي إلى فقدان الفرد لذاته في محاولته للاندماج في هذا المجتمع، بالإضافة إلى ذلك، ستتناول الدراسة القضايا الفكرية والفلسفية التي تطرحها الرواية، مثل العلاقة بين الذكاء والسعادة، ودور المجتمع في تشكيل هوية الفرد، وكيف يمكن للفرد أن يوازن بين وعيه الفكري ورغبته في العيش بحياةٍ بسيطةٍ خاليةٍ من التعقيدات، من خلال هذا التحليل، سنحاول تقديم قراءةٍ شاملةٍ للرواية، تكشف عن طبقاتها العميقة وتدعو القارئ إلى التأمل في معضلات الوجود الإنساني المعاصر.

التمهيد

تتميز رواية "كيف أصبحت غبيًا" بأسلوبها الساخر الذي يسلط الضوء على أزمة الذكاء في مجتمع استهلاكي، حيث يصبح التفكير المفرط عبئًا ثقيلًا، والغباء خيارًا مشروعًا لتحقيق راحة البال، يستعرض الكاتب رحلة التحول التي يخوضها البطل، بدءًا من معاناته مع الذكاء المفرط، مرورًا بمحاولاته الفاشلة لتبني أسلوب حياة خالٍ من التفكير، وصولًا إلى إدراكه أن المشكلة لا تكمن في ذكائه، بل في كيفية تعامله معه ومع المجتمع، تُعد هذه الرواية نموذجًا للأدب الذي يمزج بين النقد الاجتماعي والطرح الفلسفي، مما يجعلها جديرة بالدراسة والتحليل من منظور نفسي وسردي.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى :

1. تحليل التحولات النفسية لشخصية أنطوان من خلال استعراض المراحل التي يمر بها في محاولته للهروب من عبء الذكاء.
2. دراسة البنية السردية للرواية والتقنيات التي استخدمها الكاتب لإبراز هذه التحولات، مثل السرد الذاتي والسخرية السوداء.
3. استكشاف القضايا الفكرية والفلسفية التي تطرحها الرواية حول الذكاء، الغباء، الاندماج المجتمعي، والسعادة.
4. توضيح الأبعاد النقدية الاجتماعية التي تعكسها الرواية حول تأثير المجتمع الاستهلاكي على الأفراد.

تقديم قراءة نفسية للشخصية الرئيسة لفهم الدوافع التي قادتها إلى اتخاذ قراراتها المصيرية في الرواية ويعود لنمط حياتها القديم وتقابل فتاة بمثل تفكيرها ويفتحان معاً صفحة جديدة، والرواية محكمة، تدور في 160 صفحة من القطع المتوسط، ورغم ذلك فهي مليئة بالأحداث وبالشخصيات الحية، تعتمد على لغة ساخرة بارعة ولا تقدم الأفكار بشكل مباشر، وإنما من خلال أحداث متصاعدة ومن خلال الراوي الذي يقدمها في قالب ساخر تبعا لتغير أحواله النفسية والعقلية، تعتمد في النهاية على تشويق أقرب إلى الأفلام الأمريكية إلا أنها تظل في مسارها في انتقاد المجتمع الاستهلاكي وتقديم كل الحجج والبراهين على ذلك. (باج، 2013)

ولد الروائي مارتن بيج عام 1975، وقضى شبابه في الضواحي الجنوبية لباريس، كطالب شغوف، أمضى السنوات القليلة الأولى فقط، درس القانون وعلم الاجتماع واللغويات وعلم النفس والفلسفة وتاريخ الفن والأنثروبولوجيا، نُشرت روايته الأولى "كيف أصبحت غبيًا" في عام 2001، وقام بتحرير مجموعة غير متجانسة من مقدمات الكتب الوثنية ، نشر شريطًا هزليًا مع رسومات،

وأحدث رواياته هي رواية الأبطال خارقين بالغين: أنشأ ورشة عمل وبيع عبر الإنترنت لطباعة الكتب المحلية تُرجمت كتبه إلى حوالي خمس عشرة دولة، حصل على منحة دراسية من "أكاديمية قصر سوليتود" أو "أكاديمية شلوس سوليتوده"، يقوم بانتظام بعمل أفلام قصيرة متوقفة عن الحركة يمكن مشاهدتها على صفحته على vimeo (باج، 2013).

التحول لغة :

التحول مصدر حال يحول حولا وتحولا، والمحول موضع التحويل وهو في اللغة: بمعنى التحرك، يقول ابن فارس ت ٣٩٥هـ: "الحاء والواو واللام أصل واحد، هو تحرك في دور والحائل: كل شيء تحرك في مكانه، فالحول الحركة، تقول: حال الشخص يحول إذا تحرك.

وتحول الأحكام في دراستنا لا يخرج عن هذه المعاني المتقاربة؛ فإن المراد به: العدول بها عن مقتضاها الأصلي إلى غيره في أحوال شرعية مخصوصة (عمر، 2015، صفحة 1115).

التحول اصطلاحا :

تحول : تحوَّلَ/ تحوَّلَ إلى/ تحوَّلَ عن يتحوَّل، تحوُّلاً، فهو مُتحوِّل، والمفعول مُتحوَّل إليه، تحوَّلَ الشَّيءُ: مُطاوع حوَّلَ: تغيّر، انقلب "تحوَّلت أخلاقُ الفتى فصار عاقلاً- التحوُّل العالمي- تحوَّلت معالمُ البيت". • تحوَّل الشَّخصُ إلى كذا، أمرٍ آخر: غيّرها. • تحوَّل عن الأمر: انصرف عنه إلى غيره "تحوّل القطارُ عن مساره- يأبى التحوّل عن دينه مهما كلّفه الأمرُ". II تحوُّل [مفرد]: وهو الانتقال من حال إلى حال ؛ ومصدر تحوَّلَ/ تحوَّلَ إلى/ تحوَّلَ عن| تحوُّل مرضٍ: تطوره الطبيعيّ (أبو العزم، صفحة 454).

المبحث الأول : التحولات السيكولوجية

إن تحليلنا للمضامين النفسية في الرواية موضوع الدراسة سوف يعتمد على تحليل شخصية انطوان من حيث الرغبة واللارغبة، لا سيما في ارتباطهما بما بين الذكاء الذي عليه البطل ومعاناته منه وشغفه في أن يكون غبياً لينعم بحياة هادئة، ذلك أن الرواية في مجملها تمثل أزمة نفسية متعددة الأصوات وذات صلة في الوقت نفسه بقضايا اجتماعية وتاريخية وفكرية، كما أن منهج الكاتب في اتخاذ مركزية الواقع أساساً لعمليات التحليل في النص الروائي، من شأنه أن يساعدنا في إلقاء مزيد من الضوء على أبعاد الرواية بغية استكشاف التجربة النفسية وتفسير الدلالات الكامنة وراءها، والتي لا تتأتى إلا من خلال عملية التأويل للغة السرد.

تعريف الشخصية السيكولوجية:

تعد (الشخصية) هي مجموعة الصفات الخارجية التي يراها الآخرون وليست ما هي عليه في الحقيقة، وهي مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية، كذلك ما لديه استعدادات مكتسبة مشيرًا إلى أهمية النواحي الداخلية في (الشخصية)، أما (كمف) فقد عرفها بأنها أسلوب التوافق العادي الذي يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة معطيًا اهتمامًا لأسلوب توافق الفرد مع البيئة (الإمارة، 2012)، أما (فلويد ألبورت) فقد أشار إلى أن (الشخصية) هي استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية في البيئة (عبدالرحمن، 2014، صفحة 16).

وقد دأب علم النفس الحديث في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر على دراسة سلوك البشر وتفكيرهم وأطلق عليه اسم العلم السيكولوجي أو ما يسمى بعلم النفس الذي يهتم بدراسة سلوك البشر وتفكيرهم، كما يُعنى بدراسة عمليات الإدراك الحسي، والتفكير، والتعلم، والانفعالات، والدوافع، وتكوين الشخصية، والسلوك غير الطبيعي عند الإنسان، التفاعل بين الأشخاص والبيئة المحيطة بهم، ويرتبط علم السيكولوجي ارتباطاً وثيقاً بكلٍ من الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع الذي يعنى بالتأثيرات الاجتماعية والبيئية على السلوك (كامل ، 1995، صفحة 34) .

وشخصية البطل أنطوان في الرواية هي شخصية ذات كثافة سيكولوجية وهو الشخصية الرئيسة والعنصر المهيمن في النص الروائي الذى ينظم العناصر الأخرى ويحددها، ويضمن تماسك البنية الفنية وتلاحمها، كما أنه تنطوي على صراع داخلي، يعكس أزمة نفسية تتمثل في كونه شابا ذكيا في الخامسة والعشرين من عمره، رجل كثير التفكير، يتمتع بذكاء ووعي ومعرفة، حاصل على شهادة جامعية في علم الأحياء وكان يعمل محاضرا في إحدى جامعات باريس، يجيد اللغة الآرامية ويترجم منها نصوصا عند الحاجة إلى المال، كما أنه مهتم بالسينما، فقير يعيش في (مونتروي) في أطراف باريس، في شقة لا يستطيع دفع إيجارها، وكان ساخطا على نفسه يريد أن يغير شخصيته ويتخلص من التفكير الذي أصبح عبئا عليه، من خلال ما يجري من مناقشة مع أصدقاءه حول الأمور الفلسفية والعلوم في مقهى يجتمعون فيه، وقد كان يعاني من التفكير المتواصل الذي يحرمه حتى من الأحلام أثناء النوم، هذا التفكير الذي يجعله يدقق في كل الأمور ويحلل كل شيء ويطرح أسئلة كثيرة وتفصيلية عن أي شيء يقابله في حياته، هذا التفكير والسعي نحو المعرفة وتنمية وعيه كان وبالا عليه منذ الصغر، حيث أصبح منبوذا اجتماعيا في المدرسة ووسط الناس، ورغم أن من يعرفه يستطيع بسهولة وصفه بالذكي إلا أنه يكره ذكاءه هذا ويود التخلص منه.

يأتي تحليل الشخصية في رواية "كيف أصبحت غبيا" في عدة عمليات أهمها:

- تكوين رد الفعل: وهي من العمليات المعقدة فهمًا لدى قليلي الخبرة العملية في مجال (علم النفس)، كما ترتبط بقوانين الطبيعة بحيث يتم تبديل (المشاعر) والتصرفات السلبية بنقيضها وذلك رغبة في تكوين طابع التغير وجذب كل ما هو جيد، كاستبدال الحب بالكراهية، والشجاعة بالخوف، والشفاء بالمرض، وهذا التكوين كان يشكل الرؤية القاتمة للبطل انطوان من خلال رغبته في تبديل العقل الذكي بآخر غبي كردة فعل لما يعانيه من قلق وتفكير مستمر بأمور لا يمكن الخلاص منها الا بتبديل العلاقات الإنسانية بأخرى مناقضة تمامًا، ونستنبط ذلك من خلال حوار البطل مع نفسه ((حينما يكتشف المرء أنّه من النادرين الذين يراعون المبادئ الأخلاقية في العلاقات الإنسانية، قد يكون من المغري الاستغراق في اللاأخلاقية، ليس بدافع اليقين أو المتعة، وإنّما ببساطة لئلا يعود ويتألّم، إذ ليس هناك من ألمٍ أشدّ من أن يكون المرء ملاكًا في الجحيم، في حين يكون الإبليس في كل مكان في بيته)) (باج، 2013، صفحة 12).

((يشفق المجتمع على السكيرين ويعالجهم ويحظون بعناية طبية إنسانية . في حين لا يفّكر أحدٌ بالإشفاق على الأذكياء: "فالذكي يراقب تصرّفات الناس، ولابدّ لهذا أن يجعل منه إنسانًا تعسًا")) (باج، 2013، صفحة 15).

- التعيين: هو الطريقة التي يتقمص بها (الشخص) سمات شخص آخر، ليجعلها جزءًا من (شخصيته) كونه يجد فيها الراحة (النفسية) بحيث يتصرف كما يتصرف (الشخص) الآخر حتى يتعدى المشاركة الوجدانية إلى أن يشعر أنه الشخص الآخر، وهذا ما حصل في شخصية انطوان من أسباب وعوارض وأنماط وحلول مناسبة لردة الفعل في أن يجد منفذا آخر لعقله ويعكس تفكيره بأمور بعيدا تماما عن الذكاء الذي يحمله ويرى فيه الخلاص، فمن خلال ذهابه لطبيبٍ فيعطيه أقراصًا مُهدّئة تمنعه من كثرة التفكير، ثم يقرر بعدها أن يصبح سمسارًا بمساعدة صديق قديم كان يدرس معه، فيعيش حياةً مليئة باللهو والترف والغباء، وفي كل مرة يفكر بالعودة لماضيه يعود ليتناول تلك الحبات، ويستمر على ذلك حتى يشفق عليه أصدقاؤه القُدامى فيعملون على إخراجه من حياته الجديدة، فيستجيب لهم ويعود لنمط حياته القديم ويقابل فتاة بمثل تفكيره ويفتحان معًا صفحة جديدة.

وعن حقوقه في اتخاذ مواقف مغايرة مما ينتظره المجتمع منه، يقول:

"– لماذا لا يحق لنا أن ننتقد ونَعُدُّ الناس مغفلين ومعتوهين؟ بذريعة أننا سنبدو مغتاظين وغيورين؟ يتصرف الجميع على أننا متساوون، على أننا أثرياء مثقفون، أقوياء، بيض، صفر، وسيمون، ذكور،

سعداء، بصحة جيدة، لدينا سيارة ضخمة.. ولكن هذا ليس صحيحًا. وبالتالي، لدي الحق في أن أحتج وأن أكون في مزاج سيء، وألّا أبتسم بسذاجة طيلة الوقت، وأدلي برأيي حينما أرى أمورًا غير طبيعية ومجحفة، وحتى شتم بعض الناس. هذا حقي في الاعتراض. (باج، 2013)

الاندماج في المجتمع الاستهلاكي غباء.

من البداية يقابلنا البطل (أنطوان) الذي يعاني من شيخوخة عقلية رغم أنه في سن الخامسة والعشرين، والذي يعاني من إحباط ويأس بسبب دوران الأفكار المتسارعة في عقله، فهو يعاني من التفكير المتواصل الذي يحرمه حتى من الأحلام أثناء النوم، هذا التفكير الذي يجعله يدقق في كل الأمور ويحلل كل شيء ويطرح أسئلة كثيرة وتفصيلية عن أي شيء يقابله في حياته، هذا التفكير والسعي نحو المعرفة وتنمية وعيه كان وبالا عليه منذ الصغر، حيث أصبح منبوذا اجتماعيا في المدرسة ووسط الناس، ورغم أن من يعرفه يستطيع بسهولة وصفه بالذكي إلا أنه يكره ذكاءه هذا، ويود التخلص منه.

يبدأ أولا في التفكير بأن يصبح سكيرا لأن الخمر تغيب الوعي وستخلصه من ذكاءه، يذهب إلى إحدى الحانات ويتحدث مع أحد السكيرين الذي يقرر مساعدته في أن يصبح سكيرا، لكنه يفشل لأنه لم يتحمل نسبة كحول ضئيلة وتسمم دمه، ويودعونه المستشفى حيث يقابل إحدى الفتيات التي حاولت الانتحار مرات عديدة لكنها فشلت، لتضيء في عقله فكرة جديدة للخلاص وهي الانتحار، وتعطيه رقم مركز يساعد الناس على الانتحار، يذهب إلى هناك بعد التعافي ويتعرف على طرق ناجحة في الانتحار، لكنه يكتشف أنه لا يريد أن يموت، فيفكر في حل آخر وهو أن يصبح غبيا، ويعرض على أصدقاءه المقربين الأربعة (شارلوت وآسلى وغانجا ورودوف) ذلك الحل لكنهم يقلقون عليه، ويذهب لاستشارة طبيبه (إدغار) الذي يعطيه دواء مهدئا وينصحه بمقابلة طبيب نفسي، لكن (أنطوان) يسعى إلى التغيير وحده، يستعين بتأثير الدواء الذي يهدئ عقله، يتخلى عن نمط حياته الذي يعتمد على موقفه الواعي، حين كان لا يهتم بهندامه ويرتدي ملابس بالية يشتريها من محل لبيع الملابس القديمة، وذلك لكي لا يشتري ملابس استغلت فيها الشركات متعددة الجنسيات الأطفال من بلدان العالم الثالث في صنعها، وحين كان يرفض الشراء من (نايك) والماركات العالمية المعروفة للملابس والأحذية بسبب استغلالها للناس.

الانسلاخ عن الذات

للجسد عقلان؛ هناك من يقرأ في لسانه وآخر يقرأ في عقله، والفرق بينهما كبير جدًا؛ الأول معروف والجميع يعلم به الدماغ، فيما أن الثاني هو القلب اللاوعي، فكلّما كنت متسامحا ومتفهما

لكّلّ ما يدور حولكّ من جدل، سوف يدفع بك القلب إلى التفكر، ففي بعض الأحيان تسعى للقيام بأشياء يطلبها منك عقلك، يقوم قلبك بردعك، فإن كان شعور الإيمان في القلب، فكيف لقلب لا يعي أن يحمل كمّا هائلا من المعرفة المسبقة للأحداث التي تنشأ، إذًا هي مسألة أخلاقية أكثر مما هيه مادية (حمد، 2013).

هذا ما نجده في الرواية حين يساعده (رافي) ويوظفه في شركته كسمسار للأوراق المالية ويستطيع (أنطوان) أن يعمل في تلك الوظيفة ويصبح ثريا، ويبدأ نمط حياته يتغير نحو الاندماج الكامل في المجتمع الاستهلاكي، واستكمالا للسخرية التي هي طابع الرواية ((يسكب أنطوان كوب القهوة على حاسوبه فتستمر العمليات الحسابية ويصبح بالمصادفة ثريا جدا، حيث يحصل على عمولة كبيرة، وحين يصبح كذلك يقرر أن المال ليس هو الثراء، وإنما التصرف كثري أمام الناس هو ما يعطي للثراء متعته، وبالفعل يشتري سيارة وشقة وملابس فاخرة وكل تلك الأشياء التي يشتريها الأثرياء، ويبتعد عن أصدقاءه القدامى تماما، ويندمج تماما مع أفراد مجتمعه الجديد، يخرج معهم ويختلط بهم يساعده في ذلك دواءه المهدئ، الذي يوقف التفكير ويكبح ظهور شخصيته وذاته الحقيقية.

وفي إحدى المرات يعرض عليه (رافي) إيجاد امرأة عن طريق مؤسسة مخصصة لتوفير شريك، ويقابل امرأة في الأربعين من عمرها تحدثه عن أن الحب أصبح خاضعا للقوانين الاستهلاكية للمجتمع، وأنه يعتمد على ما يمتلك المرء لا على ما هو عليه بالفعل، وعلى مظهره الخارجي ومدى ملاءمته للمواصفات النموذجية للرجل أو للمرأة، من وسامة وجمال وجسم رياضي وما إلى ذلك.

ثم تنعطف الرواية نحو طقس فانتازيا يشبه طقس الأفلام الأمريكية، فيقابل (أنطوان) شبحا لمغني شهير ويقول له إنه ملاكه الحارس جاء لينقذه من حياته البائسة التي لا يشعر فيها بالسعادة، ويسعى أصدقاءه الأربعة لاختطافه في مشهد حركة سريع، ويمارسون عليه طقوسا سحرية ليعيدوه إلى شقته القديمة، ويقول لهم إنه بالفعل كان قد قرر التخلي عن حياة الثراء، وإنه قام بعمل لعبة ما ستؤدي إلى خسارة (رافي) وشركات أخرى مليارات من الجنيهات، وتتم معاقبته باحتجاز كل ممتلكاته والحكم عليه بالسجن ستة أشهر مع وقف التنفيذ، ليعود فقيرا عاطلا كما كان، لكن استعاد علاقته بأصدقائه وشغفه بحياته القديمة.

ويؤكد البطل أثناء ذلك على أنه يعاني من الانسلاخ، حيث أنه انسلخ عن ذاته حينما غرق في المجتمع الاستهلاكي، وبشكل مفاجئ أيضا تظهر (كليمانس) في الحديقة التي يخرج للتنزه فيها، وتحادثه بطريقة طريفة ليكتشف أنها تشبهه، وأنها مثله ساخطة على المجتمع الاستهلاكي، تريد أن

تعيش ببساطة وهدوء بعيدا عن دوران المجتمع الاستهلاكي المحموم وكوارثه المتخلفة عنه، وكأن الكاتب يهدي لبطله النهاية السعيدة حيث وجد خلاصه في علاقة حب حقيقية، تعتمد على توافق بين الحبيبين، وعلى تشابه في الرؤى والأفكار، وتعتمد بشكل أساسي على أنه محبوب لذاته ولشخصيته لا لما يمتلكه (باج، 2013).

المبحث الثاني : مكونات السرد

الرواية هي سرد نثري طويل تصف شخصيات خيالية وأحداث على شكل قصة متسلسلة، كما أنها أكبر الأجناس القصصية من حيث الحجم وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث وقد ظهرت في أوروبا بوصفها جنسًا أدبياً مؤثرًا في القرن الثامن عشر و أصبحت الرواية شكلًا ثابتًا من أشكال الأدب في القرن الثامن عشر الميلادي في إنجلترا، (الطائي، 2019، صفحة 13) وللرواية مكونات سردية تقوم عليها بنيتها السردية، بيد أن الذي يمكننا تناوله تحت هذا العنوان – وضمن حلقات طبعا – هو أهم المكونات السردية التي تنطلق منها تقنيات السرد الروائي، والمتمثلة بالزمان، والمكان، والشخصيات، واللغة، ثم الحدث (كونديرا، 1999، ص8).

اعتمدت الرواية في آلية سردها على:

- الراوي: حيث يعد الراوي أحد عناصر المبنى الحكائي، وأحد الشخصيات المتخيلة فيها، وله مسؤوليات تجعلته شخصية نوعية ذات تأثير فعّال في عناصر المبنى الروائي بصفته الصوت الذي يروي الأحداث بمنظور رؤيته مما يجعلنا نتتبع الأحداث من خلالها من جهة، ونطلع على مكونات السرد الأخرى من جهة ثانية، وهو المسؤول الأول عن توصيل ما في السرد من أحداث إلى المتلقي (شبيب، 2013)، ونعني بالسرد طريقة عرض الأحداث عرضا مسببًا متماسكًا، ويعد الناقد (بيرسي لوبوك) الواضع الأول لأساس زاوية الرؤية في كتابه (صنعة الرواية) محددا فيه علاقة الراوي بالمروي حيث يقول إنني اعتبر مجمل السؤال المعقد عن الأسلوب في صنعة الرواية محكوما بالسؤال عن وجهات النظر ويرى (ماريوس بارغاس يوسا) (شبيب، 2013) الراوي هو كائن خيالي من صنع الكلمات، لا وجود له خارج حدود الرواية التي يرويها، بل إن وجوده قائم بفضلها وبداخلها. فهو لا يعيش إلا من خلال السرد، وتبقى حدود خياله هي ذاتها حدود كيانه. وتتنوع أشكال الرواة؛ فقد يكون الراوي شخصية من شخصيات الرواية، أو يكون راوٍ عليمًا بكل شيء، يعرف خبايا الأحداث والشخصيات دون أن يكون جزءًا من القصة. كما قد يكون الراوي ملتبس الهوية، فلا نعلم إن

كان يروي من داخل العالم السردي أم من خارجه. ويمكننا التعرف على نوع الراوي الذي اختاره المؤلف من خلال الضمير المستخدم في السرد ومن هو المتحدث.

تروى الرواية المتخيلة هل تروى على لسان:

- هو ضمير الغائب.
- أنا المتكلم.
- أنت المخاطب، وهو الضمير الذي يطلعنا على الموضوع الذي يشغله الرواي في علاقته بالمكان.

- الراوي العليم

إن النمط الذي استخدمه (مارتن باج) من خلال المبنى الحكائي للرواية كان عليمًا بكل شيء؛ الداخل والخارج، الغائب والحاضر، تراه لا يتردد في الدخول في الحكاية، كلي المعرفة يسمح له بالتدخل السافر في سلوك الشخصيات وفي اختراق أفكارها، وكشف أسرارها كما يسمح له بالتدخل في سيرورة أحداث الرواية والتعليق عليها، وقد استطاع الكاتب مؤلف الرواية (مارتن باج) أن يبقى خارج العالم التخيلي في الرواية وأن يحرر شخصية الراوي المفوضة بالسرد ويبتعد عنها محملًا إياها مسؤولية اتخاذ الزاوية التي تنظر منها إلى المشهد الروائي، ولا شك أن للناقد (توما تشفسكي) (بارغاس، 1970) فضلا كبيرًا في دراسة السرد الموضوعي العالم بكل شيء، مقابلًا للرواية المحايد الذي لا يتدخل في سيرورة الحدث والسرد الذاتي وفيه يتبع الراوي الحكاية فلا يقدم الكاتب الأحداث إلا من وجهة نظر الراوي الذي يقوم بتحليلها وتفسير مواقف الشخصيات ويفرض على القارئ تأويلاته وتعليقاته بين الحين والآخر، وهو النهج والنمط الذي اتبع في الرواية كما نرى من خلال المقطع التالي:

"لم يكن عقله يتيح له أي راحة، كان يمنعه من النوم بتساؤلاته المستمرة ويوقظه في عز الليل بشكوكه ونقمته وسخطه. روى أنطوان لأصدقائه بأنه منذ زمنٍ طويل لم يعد لديه لا أحلام ولا كوابيس لفرط ما تملأ أفكاره فضاء نومه. كان أنطوان لفرط التفكير، وتورُّم الوعي، يحيا حياةً بائسة. وهو يريد الآن أن يكون أقل وعيًا وأكثر جهلًا بالقضايا والحقائق والواقع.. لقد عانى ما يكفي من حدة النظر التي منحته صورة رديئة عن العلاقات الإنسانية. يريد أن يعيش، لا أن يعرف حقيقة الحياة، أن يعيش فقط" (باج، 2013، صفحة 30).

في هذا السرد يأخذنا الراوي إلى تأويل عقله والتفكير الذي لا ينتهي إلى أن يكون أقل وعيًا وأكثر جاهلية، لقد مكنه أن يستوعب ويلم بعناصر الحدث والشخصيات والمكان، وما يكفيه من المعطيات عن المروي وظل هو المتحكم في السرد، ليبرز لنا ساردا ذاتيا كلي المعرفة بالأحداث مطلق المعرفة، يتواجد في كل الفضاءات وعبر كل الأزمنة.

- السارد الذاتي: في هذا الأسلوب يتتبع القارئ الحكي أو السرد من خلال عيني الراوي، ووجهة نظره ومشاعره وعواطفه؛ إذ إن الراوي يسرد في هذا الأسلوب معتمدًا على رأيه وفكرته وشعوره حول أحداث القصة وشخصياتها وتطوراتها، ويُلحظ في هذا الأسلوب غلبة ضمائر المتكلم، دون أن يعني أن الراوي لا يلجأ إلى ضمائر أخرى (عثمانة، 2018).

واذا ما تتبعنا خيط السرد في رواية "كيف أصبحت غبيًا" للبطل أنطوان نجد أنه يميل للسرد الذاتي في كثير من الأحيان ويعطي من خلاله صورة أخرى وتكاملًا للأحداث المناطة به يتساءل انطوان عن هذا الذكاء فهو ربما كان لعنة تصيب صاحبه؟ لا أحد سيشعر بعذاب هذه اللعنة سوى من أصابته، فالجميع يظن أن الإنسان الذكي هو ليس فقط موهوبا وعبقريا وانه قد يكون كصنم يمجدونه ويضربون به الأمثال أمام شخص آخر أو حتى جيل ثاني، الذكاء كمرض يصيب العقل وتنهش به وتغدق عليه الكثير من المشاعر والتفاصيل وتتغذى عليه بمرض التفكير الذي تجعله في دوامة لا وقوف لها.

ما يبحث عنه انطوان داخل هذه الرواية التي اتسمت بصدى الصوت الواحد النابع من شخصيته ليس العيش وليس الموت في الوقت ذاته، كان يبحث عن سبيل يوقف كل الأفكار التي تسمم بدنه وحياته التي هي ناتجة عن ذكائه، يريد إيقاف الشعور والاحساس بكل هذه التي تدور حوله ولكن لا يريد أن يوقف حياته، كان يبحث عن الانسلاخ عن نفسه وليس ليهدأ فقط وإنما ليوقف ناعور الموروث الذي تشكل بمقدمة رأسه.

- "أعاني من لعنة العقل، أنا فقير، أعزب، محبط نفسيًا، مرت شهور وأنا أفكر في مرضي ألا وهو الإفراط في التفكير، واكتشفت بيقين شقائي وتطرف عقلي. التفكير، السعي للفهم لم يجلب لي أي شيء ولكنه لعب باستمرار ضدّي، ليس التفكير عملية طبيعية، إنه يجرح كقطع من الزجاج والأسلاك الشائكة السابحة في الهواء. لا أستطيع إيقاف دماغي أو إبطاء إيقاعه... السعي للفهم هو انتحار اجتماعي، أي أن يكف الإنسان عن الاستمتاع بالحياة دون أن يشعر بنفسه!" لذلك التجأ تارة إلى الخمور ليُسكر عقله، وتارة إلى الانتحار ليوقف تفكيره ولكن كل هذه الوسائل التي استعملها كان يعرف جيدا أنه لا يجد الغاية منها ، فنحن

كلنا نعي الغايات ولكن دائما ما نحب وبدافع الفضول الذي ينبع منا أن نجرب كل الوسائل التي تؤدي إليها، ويرى الكاتب من خلال شخصية انطوان الذكاء والغباء مثل كرات بندول معلق تدفع أحدها الأخرى ويرتطمان ببعضهما من دون توقف، ويخضع الجميع لاهتزازهما فكل شيء وجد بهذا العالم المال والأفكار والاقتصاد والدراسة والعمل وحتى الحب مقترنين بهما، يشرح الكاتب (مارتن باج) في هذه الرواية كيف أن الغباء والذكاء نواتان منشطرتان لهما نفس المزايا، شرح هذه الفكرة من جانب نفسي وحياتي تلفلف بذكاء السرد وسخرية الكلمات.

الخاتمة :

تُعد رواية "كيف أصبحت غبيًا" لمارتن باج نصًا أدبيًا غنيًا بالتحليل النفسي والسخرية الاجتماعية؛ حيث تتناول صراع الفرد مع ذاته ومعايير المجتمع الاستهلاكي الذي يفرض قيمًا معينة للسعادة والنجاح ، من خلال شخصية أنطوان، يتجلى التحول من الذكاء المُرهق إلى الغباء المُفتعل كوسيلة للهروب من عبء التفكير العميق والتساؤلات الوجودية، تكشف الرواية كيف يمكن للإنسان أن يفقد ذاته في محاولته للاندماج في مجتمع لا يمنح الأولوية للفكر بقدر ما يمجد الاستهلاك والامتثال الجماعي.

تحليل تحولات أنطوان يوضح أن الرواية ليست مجرد عمل ساخر، بل هي نقد عميق للواقع المعاصر الذي يجعل من الغباء سبيلًا للراحة، ومن الذكاء عبئًا يثقل كاهل صاحبه. كما أن البنية السردية المعتمدة على الراوي العليم والسارد الذاتي أسهمت في رسم صورة متعددة الطبقات للتحولات النفسية والفكرية التي يمر بها البطل.

في النهاية ، تمثل الرواية رحلة بحث عن الذات في عالم يحاول قولبة الأفراد ضمن أطر محددة؛ هل الغباء هو الحل للخلاص من معاناة التفكير؟ أم أن الذكاء في جوهره هو القدرة على إيجاد توازن بين الوعي والراحة النفسية ؟ هذا ما يتركه (مارتن باج) مفتوحًا للقارئ، داعيًا إياه للتأمل في معضلة الوجود الإنساني المعاصر.

المصادر والمراجع :

1. أبو العزم، عبد الغني، معجم الغني، دار الكتب المطبوعة، قسم اللغة العربية.
2. الإمارة، أسعد شريف، سيكولوجية الشخصية، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 2012.

3. بـاج، مـارتن، "السـيرة والمسـيرة"، صـفحة الكتـب، متـاح علـى: http://www.martin-page.fr/francais/biographie.
4. باج، مارتن، كيف أصبحت غبيًا، ترجمة حسين عمر، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2013.
5. بـــرنس، مـــورتين، "طبيـــب الأعصـــاب وعـــالم الـــنفس الأمريكـــي"، متـــاح علـــى: https://www.noor-book.com/tag/Morton-Prince.
6. حمد، مؤيد علي، الانسلاخ من الذات، دار الكتاب المعاصر، الجزائر
7. شبيب، سحر، "البنية السردية والخطاب السردي في الرواية"، مجلة الدراسات العربية وآدابها، العدد 14، 2013.
8. الطائي، فراس عبد القادر، المكونات السردية في الرواية القصيرة: دراسة فنية رواية زمن الرماد لأسامة محمد صادق نموذجاً، دار الإبداع للطباعة والنشر، 2019.
9. عثمانة، فايز صالح، تقنيات السرد السيرذاتي وأبعاده: الطيب صالح نموذجًا، دراسة نظرية تطبيقية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد 2، 2018.
10. عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، المجلد الثالث، عالم الكتب.
11. غالي، علي، سيكولوجية الشخصية ودراستها، دار الكتب للطباعة والنشر، عمان، الطبعة الأولى.
12. كامل، أحمد سهير، دراسات في سيكولوجية الشخصية، مركز الإسكندرية للكتاب، 1998.
13. كونديرا، ميلان، فن الرواية، ترجمة بدر الدين عروكي، الأهالي للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، 1999.
14. معجم المعاني الجامع، متاح على: https://www.almaany.com.
15. يوسّا، ماريو بارغاس، رسائل إلى روائي شاب، ترجمة صالح علماني، المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، 2010.

References

1. **Abu Al-Azm, Abdel Ghani.** *Al-Ghani Dictionary*, Dar Al-Kutub Al-Matboua, Arabic Language Department.
2. **Al-Imara, Asaad Sharif.** *Psychology of Personality*, Safaa Publishing and Distribution House, Amman, 2012.
3. **Page, Martin.** "Biography and Journey," *Book Page*, available at: http://www.martin-page.fr/francais/biographie.

4. **Page, Martin.** *How I Became Stupid*, translated by Hussein Omar, Arab Cultural Center, Morocco, 1st edition, 2013.
5. **Prince, Morton.** "The American Neurologist and Psychologist," available at: https://www.noor-book.com/tag/Morton-Prince.
6. **Hamad, Moeid Ali.** *Self-Alienation*, Contemporary Book House, Algeria, p. 7.
7. **Shbeeb, Sahar.** "Narrative Structure and Discourse in the Novel," *Journal of Arabic Studies and Literature*, Issue 14, 2013.
8. **Al-Taie, Firas Abdul Qadir.** *Narrative Components in the Short Novel: A Technical Study of "Time of Ashes" by Osama Mohammed Sadiq as a Model*, Al-Ibda Publishing House, 2019.
9. **Othmana, Faiz Saleh.** *Autobiographical Narrative Techniques and Their Dimensions: Al-Tayyib Saleh as a Model, A Theoretical and Applied Study*, *Journal of the Arab Universities Union*, Issue 2, 2018.
10. **Omar, Ahmed Mukhtar.** *Contemporary Arabic Language Dictionary*, Vol. 3, Alam Al-Kutub.
11. **Ghali, Ali.** *Psychology of Personality and Its Studies*, Dar Al-Kutub for Printing and Publishing, Amman, 1st edition.
12. **Kamel, Ahmed Suheir.** *Studies in the Psychology of Personality*, Alexandria Book Center, 1998.
13. **Kundera, Milan.** *The Art of the Novel*, translated by Badr Al-Din Arouki, Al-Ahali for Printing and Publishing, Damascus, Syria, 1999, p. 8.
14. **Al-Maany Comprehensive Dictionary**, available at: https://www.almaany.com.
15. **Llosa, Mario Vargas.** *Letters to a Young Novelist*, translated by Saleh Almani, Al-Mada for Culture and Publishing, Damascus, Syria, 2010, Fifth Letter, p. 44.
16. **Llosa, Mario Vargas.** *Letters to a Young Novelist*, previously cited source. .